"الأسباب الطبيعية لحمل المرأة بالذكر دون الأنثى

وبالعكس وتخلق الحمل من الماء الدافق"

قال تعالى في سورة الشورى (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير) وقال في سورة الطارق (فلينظر الإنسان مم خلق خلق منن ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل).

قال أكثر المفسرين أي أن الإنسان خلق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة. وقال بعضهم المراد أنه خلق من صلب الرجل وترائبه نفسه. وهذا التفسير الثاني أصح لوجوه (أولا) لأنه لا يحتاج إلى تقدير لفظ الرجل في الأول ولفظ المرأة في الثاني كما يحتاج التفسير الأول مما لا دليل عليه (ثانيا) لأن الذي يتدفق هو ماء الرجل دون ماء المرأة (ثالثا) لأن الآية تصرح بأنه خلق من ماء موصوف بأنه خرج من بين الصلب والترائب معا ولكن على التفسير الأول لا يكون هناك ماء خارج من بينهما معا بل من ماء خرج من الصلب فقط وهو صلب الرجل ومن ماء أخر خرج من الترائب فقط وهي ترائب المرأة.

أما الأسباب الطبيعية في تخلق هذا المكروب ذكرا دون تخلقه أنثى أو العكس فقد يكون والله أعلم من الغذاء فإذا كان غذاء الزوجين ذا دهنية كثيرة ودسم كثير كاللحوم ونحوها فهذا المكروب يتخلق أنثى لأن الأنثى تحتاج في تولدها وتكونها وغذائها على دهنيات ودسم وطراوة طعام أكثر مما يحتاج الذكور فالذكر يتولد من أي مني يتكون من أي طعام مهما كان الطعام خشنا يابسا قليل الدهنية والدسم ولكن الأنثى لا تتولد إلا مما كان فيه زيادة دهنية ودسم وطراوة وليونة ونعومة حسب طبيعتها وذلك فإنك ترى جسم المرآة ذا طراوة ودهنية وليونة ونعومة أكثر من جسم الرجل. فأهل البلاد والمواقع التي يكون طعامهم خشنا يابسا أكثر منه لينا طريا دسما كأهل البداوة والقرى خصوصا الفقراء فغنه يكثر فيهم الذكور وتقل فيهم الإناث وأهل البلاد والمواقع التي يكون طعامهم مدهنا دسما أكثر منه خشنا يابسا فإنه يكثر فيهم الإناث دون الذكور كما هو مشاهد في البلاد المتمدنة المترفهة كبلاد الإنجليز وفرنسا مثلا فإن إناثهم أكثر من ذكورهم حسب إحصاءاتهم. وكما يرى أيضا في كل بلد في العائلات الغنية المترفة وفي العائلات الفقيرة المتقشفة فإن إناث الأولى أكثر من ذكورهم وذكور الثانية أكثر من إناثهم. وكما يرى أيضا في أفراد كل عائلة ممن كان يجب من أفرادها الطعام الخالي من المواد الدهنية الدسمة أو يحب الحوامض والموالح أكثر من اللحوم ومن المواد الدهنية والأطعمة الدسمة فإن ذكوره تكون أكثر من إناثه. ومن كان يجب منهم الأطعمة الدسمة والمواد الدهنية فإن إناثه أكثر من ذكوره ولهذا يلاحظ كثرة الذكور بين الفقراء وبين الذين يمارسون أعمالا شاقة مرهقة جسمية أو عقلية وكثرة الإناث بين الأغنياء أو بين الذين لا يؤدون أعمالا صعبة وال يفكرون كثيرا. كما أنه يلاحظ كثرة الذكور إذا كان الزوج ضعيف الجسم أو كثير الشغل. وكثرة الإناث إذا كان قوي الجسم مرتاح الضمير وكذا إذا تقدمت أمار الزوجين فأصبحوا يأكلون البقل والفاكهة أكثر من اللحم والدهن بسبب أمراضهم أو سقوط أسنانهم أو ضعف أجسامهم فإن إناثهم تكون أقل من ذكورهم كما هو مشاهد حيث نجد كثيرا من الزوجين ينتجان إناثا في شبابهم وذكورا في شيخوختهم. هذا ما قد يفهم من الاستقراء والملاحظة وقد تنعكس القضية لأسباب أخرى يعلمها الله تعالى.

ويحتمل أن يكون السبب في الذكورية هو تغلب جرثومة مني الرجل على جرثومة مني المرأة وأن السبب في الأنوثة هو تغلب جرثومة مني المرآة على جرثومة مني الرجل لأن أنسجة جسم الرجل إنما تنتج جرثومة ذكرا حسب طبيعته وتركيب جسمه لأن منية مأخوذ ومنبثق من جميع أجزاء بدنه بما فيها القضيب وباقي مقومات الذكورة. وأنسجة جسم المرأة إنما تنتج جرثومة أنثى حسب طبيعتها وتركيب جسمها لأن منيها مأخوذ ومنبثق من جميع أجزاء بدنها بما فهيا الفرج وباقي مقومات الأنوثة فإذا تغلب جراثيم منيها التي هي إناث كان الجنين أو الأجنة إناثا وإذا تغلب جراثيم مني الرجل التي هي ذكور كان الجنين أو الأجنة ذكورا وإذا تغلبت بعض جراثيم الرجل وبعض جراثيم المرأة كان توأما ذكر أو أنثى.

وبالجملة فإن الجراثيم التي تتغلب على غيرها هي التي تكون جنينا أو أجنة سواء كانت ذكورا فقط وإناثا فقط أو ذكورا وإناثا. وهذا ما يؤخذ من الحديث الشريف القائل (إذا غلب ماء الرجل ماء المرآة أذكرت وإذا غلب ماء المرآة ماء الرجل أنثت) أي إذا غلب ميكروب ماء الرجل ميكروب ماء المرأة حسب قاعدة (تنازع البقاء) أتت المرآة بذكر، وإذا غلب ميكروب ماء المرآة ميكروب ماء الرجل أنثت المرآة بأنثى حسب هذه القاعدة.

وقد يكون السبب في تغلب هذا الميكروب على ذلك هو السبب في تخلق الميكروب نفسه الذي قدمناه سابقا في سبب التخلق وهو مسألة الغذاء فإذا كان الغذاء لطيفا ناعما أي موافقا لجرثومة الأنثى اللطيفة الناعمة تغلبت جرثومتها لأن هذه الجرثومة تتقوى بسبب وفرة ما يوافقها من الغذاء وإذا كان الغذاء خشنا أي موفقا لجرثومة الذكر الخشن تغلبت جرثومته لهذا السبب، وذلك كالنبتات الأرضية التي يتغلب فيها النبات الذي توافق طبيعته طبيعة الأرض التي تزرع فيها فكل نبات إنما يتقوى على غيره بسبب توفر ما يناسبه من الغذاء في الأرض التي وجد فيها.

"وجود هذه الأسباب الطبيعية في الذكورة والأنوثة

لا ينافي قوله تعالى (يهب لمن يشاء إناثا إلخ..)"

إن الأسباب الطبيعية التي ذكرناها أو غيرها من الأسباب الأخرى في الذكورة والأنوثة لا ينافي قوله تعالى (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمني شاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير) لأن جميع المسببات إنما ترتب على أسبابها بمشيئة الله تعالى فلا تنافي بين وجود أسباب للشيء وبين كونه بمشيئة الله تعالى فإذا شاء الله الذكور هيأ الأسباب التي تستجوب وتستلزم الذكورة وإذا شاء الأنثى هيأ الأسباب التي تستلزم وتستوجب الأنوثة حسب سنته تعالى التي سنها لخليقته (ولن تجد لسنة الله تبديلا).

وهناك طريقة قديمة وتجربة سهلة لمعرفة ما في بطن الحامل من ذكر أو أنثى وهي أن يوضع بعض حبوب القمح في كيس وبعض حبوب الشعير في كيس آخر ثم تتبول المرأة الحامل فوقهما كل يوم فإذا نما القمح فإن مولود الحامل يكون ذكرا وإذا نما الشعير يكون مولودها أنثى وإذا لم ينم واحد منهم فليس هناك حمل عند المرآة لأن البول العادي غير الحامل يقتل مكروب النمو بخلاف بول الحامل فإن فيه من الفيتامينات ما يساعد على النمو بسبب الحمل.

ما قاله المفسرون في قولة تعالى (إنه على رجعه

لقادر يوم تبلى السرائر)

وفي قوله (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع)

وما أفهمه في ذلك

أما قوله (إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر) فقد قالوا فيه أي أن الذي قدر على بدء الإنسان في الدنيا يقدر في الآخرة على جمع أجزائه بعد تفرقتها بالموت وبعد تلاشيها في أجزاء أخرى.

أقول: أن لفظ الرجع والإعادة يدل على رجع الشيء وإعادته بالكيفية التي بدئ وخلق بها أولا كما قال تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) وهنا قال أن الإنسان بدئ وخلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب فيلزم أن يكون رجعه وإعادته كذلك أيضا من ماء دافق وإلا لما كان رجعا وإعادة بل خلقا آخر.

وأما قوله (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع) فقد قالوا فيه أن السماء الحقيقية هي ذات الرجع أي المطر وأن الأرض الحقيقية هي ذات الصدق أي الانشقاق بالنبات والأشجار.

أقول ويحتمل أن يراد بالسماء نفس الغمام والسحاب والمطر ذات الرجع أي الذي يرجع إلى الأرض التي أخذ منها لأنه تبخر من بحاره وأنهارها بواسطة الشمس والهواء ثم رجع إليها. أو يكون المعنى أن الغمام والمطر يرجع في كل سنة. ويحتمل أن يراد من الرجع في السموات أي رجوع الأفلاك في دورانها إلى النقطة التي بدأت منها لأن ك ل فلك يدور على فنسه ويدور أيضا حول مركز آخر ويرجع في كلا الدورتين إلى ما بدأ منه. والأرض من الأفلاك أيضا فهي ذات رجع يتكون منه الليل والنهار والفصول الأربعة التي بها حياة الإنسان والحيوان والنبات، وهي ذات الصدق أيضا لأنها تتصدق وتشقق بالأنهار والعيون والينابيع التي بها الحياة أيضا. وتتصدع بالأشجار والنبات أيضا.

ويحتمل أيضا أن يراد بالسماء هنا سماء العلم والدين الذي كلما تلاشى من قولب الناس بالجهل والظلم والفسق والكفر رجع وتجدد بواسطة الأنبياء والمرسلين لأن كل الأديان واحدة وإنما هي تضعف ثم تقوى وتتلاشى ثم تتجدد كما يدل على ذلك قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسا أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) فهذا دليل على أن دين الله واحد في جميع الأزمان وإنما هو يتلاشى ثم يرجع فهو السماء ذات الرجع وأرضي قلوبك المؤمنين هي ذات الصدق أي القبول والامتثال كما قال تعالى (فاصدق بما تؤمر وأعرض عن المشركين) ومما يرجح تفسير هذه الآية بذلك قوله تعالى قبلها (يوم تبلى السرائر) لأن ابتلاء السرائر إنما يناسب أرض القلوب وقوله أيضا بعدها (إنه لقول فصل وما هو بالهزل) أي أن القرآن هو القول الفصل والقرآن إنما يناسب سماء العلم والدين وأرض قول المؤمنين فيكون المحلوف به والمحلوف عليه في شأن واحد وعلى معنى واحد وفي غرض واحد على هذا التفسير والله أعلم بمراده.